بسم الله الرحمن الرحيم

بحث في التفسير الموضوعي

مصطلح الذرة في القرآن الكريم

مقدمة:

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. ورضي الله عن أصحابه وأتباعه الذين آزروه وناصروه واتَّبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم الراشدون. أما بعد:

فإنَّ دراسة المصطلحات القرآنيَّة أصبح معلمًا مهمًا من معالم التفسير الموضوعي الذي أخذ ينتشر في الفترة الأخيرة، وتؤلف حوله الرسائل والكتب للتأصيل له، وأحببت في هذه العجالة أن أدلو بدلوي في هذا المجال، وقد كان لي تجربة سابقة مع مصطلح الروح في القرآن الكريم، أسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد.

**مصطلح الذرة:**

لقد سمِّي القرن العشرين بعصر الذرة نظراً لاكتشاف علم جديد هو الفيزياء الذرية (والتي تبحث عن ما هو أصغر من الذرة). ومن عجائب القرآن الكريم أنه أصّل لهذا الموضوع وتحدث عنه قبل ذلك بأربعة عشر قرناً...كما سبق القرآن الكريم إلى الحديث عن وزن الذرة[[1]](#footnote-1)، وهذا ما سنأتي عليه بشيء من التفصيل في ضوء التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

ورد مصطلح الذرة في القرآن الكريم -ست مرات في أربع سور[[2]](#footnote-2)- بمعاني عديدة أهمها:

**أولاً: العدالة الإلهية:**

قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا] النساء: 40

المثقال على وزن مفعال من الثقل، والذرة: الشيء المتناهي في الصغر.

قال الطبري: " **(**مثقال ذَرّة) أي: ما يزنها ويكون على قدر ثِقَلها في الوزن، ولكنه يجازيه به ويُثيبه عليه "[[3]](#footnote-3).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أدخل يده في التراب فرفعه، ثم نفخ فيه فقال: كل واحدة من هؤلاء ذرة[[4]](#footnote-4).

وضرب الله تعالى الذَّرَّ مثلًا للشيء الصغير، تقريبًا للمخاطب.

واستعمل لفظ المثقال تنبيهًا أن ذلك يعظم جزاؤه وإن صَغُر قدره [[5]](#footnote-5).

وجاء في بعض القراءات الشاذة: (مثقال نملة)[[6]](#footnote-6).

والمراد من الآية: أن الله تعالى لا يظلم قليلاً ولا كثيراً، ولكن الكلام خرج على أصغر ما يتعارفه الناس (وهو الذرة) والدليل قوله تعالى في آية أخرى: [**إن الله لا يظلم الناس شيئا**]. (يونس: 44)[[7]](#footnote-7).

وقال بعضهم: الذرَّة ليس لها وزن، وقال القرطبي: "والقرآن والسنة يدلان على أن للذرة وزنا، كما أن للدينار ونصفه وزنا. والله أعلم"[[8]](#footnote-8).

 وأقول: وهذا ما أثبته العلم الحديث وهو أن للذرة هي الجزأ الذي لا يتجزأ[[9]](#footnote-9) وأن لها وزنا مهما تناهت في الصغر.

وقال في البحر: "فأخبر تعالى بصفة عدله وأنه تعالى لا يظلم أدنى شيء"[[10]](#footnote-10).

قال قتادة: (لأنْ تفضُل حسناتي في سيئاتي بمثقال ذرّة، أحبُّ إليّ من الدنيا وما فيها)[[11]](#footnote-11).

**ثانياً: سَعةُ علم الله تعالى:**

 قال تعالى: [وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ] (يونس: 10).

أصل العزوب: البُعد، ومثقال ذرة: أي وزن ذرة. أي خفيفة جداً[[12]](#footnote-12). فالله سبحانه لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء فهو مطلع على كل شيء صغر أو كبر.

وهنا سؤال: لماذا قدَّم الله ذكر الأرض هاهنا على ذكر السماء، مع أنه تعالى قال في سورة سبأ: [عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض]؟ (سبأ: 3).

الجواب: حقُّ السماء أن تقدَّم على الأرض إلا إنه تعالى لما ذكر في هذه الآية شهادته على أحوال أهل الأرض وأعمالهم، ثم وصل بذلك قوله: لا يعزب عنه، ناسب أن تقدَّم الأرض على السماء في هذا الموضع[[13]](#footnote-13). وأما في الموضع الثاني فكان يتكلم عن الساعة وأحوال يوم القيامة وعلم الغيب، والغيب معظمه في السماء فناسب ذلك تقديم السماء على الأرض هناك[[14]](#footnote-14).

وقال أبو السعود: " وتقديمُ الأرضِ؛ لأن الكلامَ في حال أهلِها، والمقصودُ: إقامةُ البرهانِ على إحاطة علمِه تعالى بتفاصيلها "[[15]](#footnote-15).

وحاصل مقصود الآية: وصف إحاطة الله تعالى بكل شيء[[16]](#footnote-16)، حتى الذرة التائهة في الفضاء ليست متروكة بلا رعاية ولا معونة ولا ولاية.. بل إن الله معها[[17]](#footnote-17). فأراد الله تعالى بأن يضرب لنا مثلاً بإحاطة علمه ليطمئننا أن كل خاطرة من خواطر الإنسان إنما يشهدها الله تعالى ويعلمها وهو المجازي عليها وإن استطاع إنسان أن يُعمي على قضاء الأرض، فلن يستطيع أن يُعمي على قضاء السماء[[18]](#footnote-18).

ثم قال تعالى: [وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ] (يونس: 10).

وهنا سؤال: هل هناك شيء أصغر من الذرة؟

الجواب: في السابق لم يكن أحد يعلم أن هناك شيء أصغر من الذرة، وكان العلماء يعتقدون أن الذرة هي الجزء الذي لا يتجزأ، إلا أنه في العصر الحديث اخترعت ألمانيا آلة لتحطيم الذرة اسمها (آلة تحطيم الجوهر الفرد) فتفتت الذرة من خلال هذه الآلة[[19]](#footnote-19). والله سبحانه ذكر أن هناك شيء أصغر من الذرة قبل ذلك بأربعة عشر قرناً، وهذا مصداق قول علي رضي الله عنه في وصف القرآن: "لا تنقضي عجائبه".

وانظروا معي إلى عظمة البلاغة القرآنية في قوله تعالى: [ولا أصغر من ذلك..]: يقول الدكتور حسني حمدان: "وكان فهمي أنه كلما وصلت إلى الأصغر من الذرة ظلت تحاول الوصول إلى الأصغر دائماً، وإذا بي أطالع الجملة التالية من كتاب (الكون) لستيفن هوكنج 2011م: "وصلت بنا أبحاثنا الحديثة عن الفيزياء النووية وفيزياء الطاقة العالية إلى مقاييس أصغر مما سبق - أي أصغر من جزء من المليون من الملليمتر- بليون مرة. وربما بدا أننا نستطيع مواصلة ذلك إلى الأبد"[[20]](#footnote-20).

**ثالثاً: الميزان الدقيق لأعمال الإنسان**

قال تعالى: [فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ].

قال الطبري: "فمن عمل في الدنيا وزن ذرةٍ من خيرٍ، يرى ثوابه هنالك ، ومن كان عمل في الدنيا وزن ذرةٍ من شرٍ يرى جزاءه هنالك "[[21]](#footnote-21).

والذرُ ما يرى في شعاع الشمس من الهباء.وهنا سؤال: وإذا كانت حسنات الكافر محبطة بالكفر، وسيئات المؤمن معفوّة باجتناب الكبائر، فما معنى الجزاء بمثاقيل الذرّ من الخير والشر؟

 الجواب: أنَّ وزن الذرَّة من عمل الخير يجازى به المؤمن في الجنة . ووزن ذرة من الأعمال السيئة يجازى به العاصي في النار[[22]](#footnote-22). فالذرة تحاسب الذرة.

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زكاة الحمر، فقال: " ما أنزل علي فيها شيء إلا هذه الآية الجامعة الفاذة: [فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره] [[23]](#footnote-23).

وروي عن ابن مسعود: أن هذه هي أحكم آية في القرآن الكريم.

وقال بعض الشعراء:

إنَّ من يعتدي ويكسب إثماً .... وزن مـثقـــــــــــــــــالِ ذرةٍ سيراه

ويُجازى بفعله الشرّ شــــــــــــراً .... وبفعل الجميل أيضا جزاه

هكذا قولـــــــــــه تبـــــــــــارك ربي .... في إذا زلزلت وجلَّ ثـــــــناه.

والخلاصة: إنَّ هذا الميزان لم يوجد له نظير أو شبيه بعدُ في الأرض.. إلا في القلب المؤمن.. القلب الذي يرتعش لمثقال ذرة من خير أو شر [[24]](#footnote-24).

**الخاتمة:**

في نهاية المطاف نخلص إلى أهم النتائج:

* أن مصطلح الذرة في القرآن الكريم جاء مقترناً بلفظ المثقال، وهذا يدل على أن للذرة وزنا وحجما من المادة.
* أن القرآن الكريم قرر قبل أربعة عشر قرناً أن هناك أجسام صغيرة أصغر من الذرة وأن علم الله سبحانه وتعالى يشملها ويحيط بها.
* أن مصطلح الذرة في القرآن الكريم يدور حول ثلاثة معاني: العدالة الإلهية-وسعة علم الله تعالى-والميزان الدقيق الذي توزن به أعمال الإنسان.
* أن القرآن الكريم لا يتعارض مع الحقائق العلمية الثابتة، بل هو مصدرها، وفيه الكثير من الحقائق التي لم تكتشف بعد.

والحمد لله رب العالمين

كتبه: عبد الكريم علي الخلف

 السبت: 11/ذو القعدة/1435

6/9/2014

1. الذرة في القرآن الكريم، عبد الدائم كحيل [↑](#footnote-ref-1)
2. النساء-يونس –سبأ-الزلزلة [↑](#footnote-ref-2)
3. جامع البيان للطبري [↑](#footnote-ref-3)
4. تفسير الكشاف [↑](#footnote-ref-4)
5. مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني [↑](#footnote-ref-5)
6. قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه [↑](#footnote-ref-6)
7. تفسير الرازي [↑](#footnote-ref-7)
8. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [↑](#footnote-ref-8)
9. التفسير المنير للزحيلي [↑](#footnote-ref-9)
10. تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي [↑](#footnote-ref-10)
11. تفسير الطبري [↑](#footnote-ref-11)
12. تفسير الرازي [↑](#footnote-ref-12)
13. الزمخشري والرازي [↑](#footnote-ref-13)
14. التحرير والتنوير [↑](#footnote-ref-14)
15. تفسير أبي السعود [↑](#footnote-ref-15)
16. تفسير المحرر الوجيز لابن عطية [↑](#footnote-ref-16)
17. في ظلال القرآن [↑](#footnote-ref-17)
18. تفسير الشعراوي [↑](#footnote-ref-18)
19. تفسير الشعراوي [↑](#footnote-ref-19)
20. الذرة بين القرآن والعلم، د. حسني حمدان [↑](#footnote-ref-20)
21. تفسير الطبري [↑](#footnote-ref-21)
22. تفسير الكشاف [↑](#footnote-ref-22)
23. صحيح البخاري [↑](#footnote-ref-23)
24. في ظلال القرآن [↑](#footnote-ref-24)